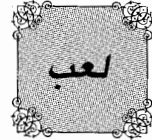


التراجمة في عصر سلاطين المماليك



تأليف : الدكتور علي السيد علي محمود
أستاذ مساعد (مشارك) تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب للبنات بالدمام - المملكة العربية السعودية

التراجمة في العصر المملوكي « ١٢٥٠ - ١٥١٧ م » دوراً هاماً وبارزاً في
كثير من نواحي الحياة ، هذا الدور كان انعكاساً لطبيعة ذلك العصر ،
والظروف التي فرضتها مجريات الأحداث التي أحاطت به .



ذلك ان احياء الخلافة العباسية في مصر منذ بداية العصر المملوكي قد اضفى على سلطنة
المماليك مزيداً من الأهمية التاريخية ، فأصبحت قبله للبلدان الإسلامية المتحدثة بالعربية
وغير العربية ، لأن حكام هذه البلاد كانوا يعتقدون أن توليهم حكم المسلمين في بلادهم
لا يكون شرعياً الا بكتابة الخليفة العباسي المقيم في القاهرة تقليداً لهم بذلك ، وغالباً ما كانت
مثل هذه السفارات التي تأتي إلى مصر بغرض طلب تقليد من الخليفة تصل إلى السلطان
المملوكي أولاً ^(١) . كما انه ليس هناك من شك في ان العاصمة المملوكية في القاهرة قد أضحت
بعد سقوط بغداد ، ثم سقوط قرطبة وباقي القواعد الأندلسية الكبيرة هي زعيمة الاسلام ،
وممثلته والمتحدثة باسمه ، والمنظمة لعلاقته مع سائر الدول المسيحية ، مما ضاعف اهتمام
الدول المسيحية لعقد أواصر الصداقة والمودة مع القاهرة ، فضلاً عن أن مصر كانت ترقب
دائماً وبعين الاهتمام مصائر المسلمين الذين بقوا تحت الحكم الأسباني ^(٢) وربما كان هذا
أحد الدوافع الرئيسية في حرص السلطان الظاهر بيبرس على اقامة علاقات طيبة مع بعض
الملوك الاسبان ، حيث تشير المصادر التاريخية العربية والقشتالية إلى تبادل السفارات بين
مصر وملك قشتالة ألفونسو العاشر سنة ١٢٦١ م ^(٣) .

كذلك كان من نتيجة قيام الممالك بالقضاء بشكل حاسم ونهائي على الخطرين الصليبي والمغولي ، وافشال المخططات الصليبية من قيام تحالف بين الصليبيين والمغول من جهة ، وبينهم وبين ملوك الحبشة من جهة أخرى ، ثم اعتناق المغول الاسلام وبخاصة مغول ايران والفهجاك أثره الواضح في لجوء كثير من ملوك وحكام الغرب الأوروبي إلى محيط الدبلوماسية ، وتأسيس العلاقات الودية مع سلطنة الممالك ، فضلاً عن قيام البورجوازية التجارية في دويلات شمال إيطاليا ، وعملها على زيادة أسباب الاتصال مع كافة البلدان وفتح طرق التجارة البرية والبحرية ^(٤) ، والتي أدركت ما لسلطنة الممالك من أهمية بحكم موقعها الاستراتيجي التجاري والذي يلتقي فيه المشتغلون بتجارة « العبور » « الترانزيت » ، هذا الموقع جعلها حلقة الوصل بين الشرق والغرب ، وسوقاً للتبادل التجاري بين آسيا وأفريقيا من ناحية وبلاد البحر المتوسط ودول غرب أوروبا من ناحية أخرى ^(٥) . مما أدى إلى ازدهار النشاط التجاري بين الشرق والغرب ، وما ترتب عليه من وجود كثير من الاتفاقات والمعاهدات التجارية والمراسلات الخاصة بها ، والازمات التي تخللت تاريخ العلاقات التجارية بين سلطنة الممالك وكثير من المدن التجارية الأوروبية ، مثل البندقية وجنوة وبيزا وفلورنسة ، وبرشلونة وأملفي ، ونابلي ومونبليه ونربونة ومرسيليا ^(٦) . مما تطلب نشاطاً مناسباً في العلاقات الدبلوماسية لتنظيم المعاملات التجارية ومعالجة ما قد يظهر من مشكلات ، وما صاحب ذلك من تبادل السفراء والرسل والمراسلات الرسمية ، وقيام المفاوضات بين الأطراف المعنية ، والتي أسفرت عن العديد من المعاهدات والاتفاقات ذات الطابع التجاري .

كذلك ظهرت الحاجة إلى التراجمة بسبب السفارات التي وصلت العاصمة المملوكية من البلاد الإسلامية ، كبلاد التكرور ، وهندوستان وبلاد الروم وبنغالة من بلاد الهند ، وامراء بني قرمان ، ومغول ايران ومغول القفجاق وغيرها ، أما بقصد تدعيم الروابط الثقافية مثل تبادل الكتب النادرة وتسهيل مهام الطلاب ، أو السفارات العسكرية سواء ما جاء منها للتهديد أو الصلح أو طلب نجدة ، والسفارات التي جاءت بغرض اخباري بحث ، مثل الاعلان عن حركة أحد الجيوش المعادية ليكون سلطان الممالك على حذر ، أو الاعلان عن هزيمة أحد الملوك ، أو الاخبار عن أحوال البلاد المحيطة بهم ، أو الشكوى من الاغارة على بلادهم ، أو الشفاعة في أحد ، أو التحقق من جلوس سلطان من السلاطين على العرش - والتهنئة بذلك ، والأمثلة على مثل تلك السفارات عديدة ومتنوعة والمصادر المعاصرة حافلة بها ^(٧) .

كما أنه نظراً للمفاهيم الدينية التي حكمت تصرفات الناس في تلك العصور ، والتي تجلت بصورة واضحة في كثير من النواحي ، منها نظرة أبناء الغرب الأوروبي إلى الحج إلى الأراضي المقدسة في كل من مصر وبلاد الشام ، والذي اتخذت منه الكنيسة الغربية الكاثوليكية وسيلة لأن يكفره اتباعها عن خطاياهم إما لسنة واحدة ولسبع سنوات أو لمدى الحياة . ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي لدينا العديد من الاشارات التي وردت على السنة هؤلاء الحجاج عن عدد سني الغفران التي يختص بها كل موضع زاره هؤلاء الحجاج ^(٨) هذا إلى جانب السفارات التي بعث بها كثير من أباطرة الدولة البيزنطية وبعض ملوك الحبشة ، يطلبون فيها إرسال رجال دين إلى بلادهم لرعاية شؤون رعاياهم من المسيحيين ، مثال ذلك السفارة التي أرسلها ميخائيل الثامن امبراطور الدولة البيزنطية إلى الظاهر بيبرس ، يطلب فيها ايفاد بطرك من الملكانية ليرعى شؤون الطائفة الملكانية في دولته ^(٩) . وكتب ملوك

الحبشة بلغتهم يطلبون بعض المطارنة للاشراف على الكنيسة الحبشية ورعايتها^(١١). هذا إلى جانب كثير من السفارات التي بعث بها ملوك الغرب الأوروبي بقصد اعادة فتح كنيسة القيامة - التي كان يتم غلقها أحياناً كنوع من الضغط السياسي عليهم أمام المحاولات الصليبية المتكررة التي قام بها أبناء الغرب الأوروبي للاغارة على ممتلكات ومدن وموانئ وسفن المسلمين - وكذلك السفارات التي كانت تأتي بهدف قيام بعض جماعات الرهبان الأوروبيين مثل الفرنسييسكان والدومينيكان للاشراف على بعض الأماكن المقدسة في فلسطين ، أو للوصاية برعايا السلطان من المسيحيين .^(١٢)

وان كان تنوع مثل هذه السفارات أو تلك يدل دلالة واضحة على مدى ما تمتعت به سلطنة المماليك في مصر والشام من نفوذ وهيبة ، بحيث حرصت كل القوى المعاصرة على ان ترسل سفاراتها إليها في أغراض متنوعة ، فإن ذلك حتم عليها أن يكون لديها جهاز ضخم من الترجامة وكبار الترجامة ، وهم الذين قاموا بالترجمة من اللغات العديدة والمختلفة التي تمثلها هذه السفارات إلى السلاطين ، وكذلك بمهمة الترجمة بين السلطات المحلية وبين أعضاء هذه السفارات والبعثات ، وتسهيل مهامهم التي وفدوا من أجلها ولتسهيل التفاهم وتفهم النوايا ، فضلاً عن ارسال كثير من هؤلاء الترجامة لمصاحبة السفارات التي كانت ترسلها الدولة إلى مختلف البلاد ، بل وقيام كثير منهم بدور هام في المفاوضات والاعداد للمعاهدات وصياغتها ، إلى جانب مساهمتهم في تسهيل عمليات التبادل التجاري بين أبناء الجاليات التجارية الأوروبية التي استقرت في كثير من مدن وموانئ السلطنة ذات النشاط التجاري الهام ، كذلك كان لهم دورهم داخل البلاد سواء في ديوان الانشاء أو في قيامهم بالترجمة بين كثير من السلاطين والامراء المماليك وبين أتباعهم . يضاف هذا اشتغال كثيرين منهم كترجمة ومرشدين سياحيين في نفس الوقت لمصاحبة الرحالة والحجاج الأوروبيين المسيحيين ، إلى جانب وجود بعض الترجامة الذين يمثلون بعض الاقليات التي أقامت في البلاد مثل أهل النوبة وبلاد التكرور .

كانت هذه لمحة سريعة عن الظروف التي أحاطت بسلطنة المماليك وأدت في نفس الوقت إلى ضرورة استخدام أعداد كبيرة من الترجامة . أما عن هؤلاء الترجامة فيجدر بنا قبل الحديث عن دورهم في ذلك العصر أن نشير إلى أصلهم وحياتهم .

● أصل الترجامة :

في الحقيقة أن أصول هؤلاء الترجامة تعددت تعدداً واضحاً ، تشهد عليه المصادر والمراجع التي أشارت إليهم في ذلك العصر ، فيفهم من المصادر المعاصرة أن السلطان الظاهر بيبرس - المؤسس الحقيقي لدولة سلاطين المماليك - قد أستفاد من بعض العناصر الاسلامية التي وفدت على سلطنة المماليك من بلاد ايران لمعرفة اللغة الفارسية ، كذلك أبناء الدولة الخوارزمية ، واستفاد منهم واستخدمهم كترجمة في دولته وبخاصة في ترجمة الكتب الواردة من المغول سواء في بلاد فارس أم مغول القفجاق .^(١٣) وقد استمرت سياسة الاستعانة بمثل هذه العناصر حتى في عصر دولة المماليك الثانية أو الجراكسة ، حيث تشير المصادر إلى أنه في عهد الظاهر برقوق تمت الاستعانة بالقاضي بدر الدين محمود بن عبد الله الكلستاني السيرامي والذي كان من بلاد العجم حسب قول ابن حجر العسقلاني^(١٤) يضاف إلى هذا ما تشير إليه بعض المصادر من أنه نظراً لكثرة أعداد « التكرارة » بمصر فقد عمد بعض سلاطين المماليك إلى تعيين ترجمان لبلاد التكرور ، ونقصد بهم أهالي بلاد

السودان الغربي والأوسط^(١٤) . كذلك نسمع عن وجود ترجمان لأهل النوبة والذي ذكره المقرئ تحت اسم « الحجاج ياقوت ترجمان النوبة » .^(١٥) ونتيجة لتوافد أعداد كبيرة من بلاد المغول إلى مصر منذ بداية العصر المملوكي ودخول الكثيرين منهم في الإسلام ، لذا تشير كثير من المصادر المعاصرة إلى استخدام بعض هذه العناصر كتراجمة ، وأن السلاطين كثيراً ما كانوا يبعثون برسلكهم وترجمتهم إلى بلاد المغول المختلفة بأفراد من جنسهم والعارفين بلغتهم .^(١٦)

كذلك لانستبعد وجود بعض ممن اشتغلوا من السكان الوطنيين بالترجمة ، وهؤلاء تعلموا لغة الأجانب لكونهم أما من التجار الذين اختلطوا بالعناصر الأجنبية نتيجة لترحالهم أو من اختلاطهم بهم داخل البلاد بحيث أتاحت لهم فرصة معاشرتهم وتعلم لغتهم^(١٧) .

أو كانوا من أبناء الجواري اللاتي كن من أصول مختلفة وبخاصة من الفرنج ، فتعلموا لغة أمهاتهم ، حيث تشير المصادر المعاصرة إلى شغل كبار رجال الدولة - محاكاة لسلاطينهم وأمرائهم - للتسري بهؤلاء الجواري ، ثم اتخاذهن زوجات لهم بعد الانجاب .^(١٨) أضف إلى هذا ما تشير إليه بعض المصادر من استخدام بعض التراجمة من أبناء البلاد وبخاصة من المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام ، مثال ذلك ما يرويه ابن طولون في حوادث سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م أيام السلطان قانصوه الغوري من قول ودخل « محب الدين الأسلمي بخمسة وظائف : كتابة السر ، ونظر الجيش ، والترجمة ، ونظر القلعة » .^(١٩) ويبدو أنه كان لهم ولع بتعلم بعض اللغات الأخرى إلى جانب اللغة العربية والتركية ، مما ساعدهم على الاشتغال بالترجمة .

كذلك لانستبعد وجود تراجمة من الأرمن ، خاصة وأن بلاد الأرمن كانت قد خضعت لسلطنة المماليك منذ عام ١٣٧٤م^(٢٠) ، فضلاً عن أنه وجدت لهم جالية كبيرة في القاهرة منذ عصر الناصر محمد بن قلاوون ، ولم تنقطع مراسلاتهم طوال العصر المملوكي للعاصمة ، يلتمسون فيها الاستجابة لمطالبهم المختلفة .^(٢١)

أما التراجمة الذين كانوا من أصول أوروبية بوجه خاص ، فإن المصادر والمراجع ذكرت العديد منهم ، كما ذكرت اشارات عن بعض أصولهم . من ذلك ما يرويه لنا ابن عبد الظاهر في ذكره لحوادث سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م أن السلطان الظاهر بيبرس استعان بأحد التراجمة من أصل يوناني وكان مقيماً في أحد الأديرة في مصر ، فضمه إلى البعثة التي أرسلها إلى الامبراطور البيزنطي يطلب منه فيها اصدار أوامره بسرعة توجه رسل السلطان إلى الملك بركة خان ، وكان الامبراطور قد عوقبهم ، فضلاً عن انه كلفه بأن يعرض على الامبراطور وساطة السلطان بينه وبين بركة خان عاهل المغول .^(٢٢) كما وردت بعض اشارات في المصادر المعاصرة عن استخدام تراجمة من « الفرنج » منذ بداية العصر المملوكي وحتى قرب نهايته ، ولم توضح المصادر البلاد التي أتوا منها ، لكنها اشارت إلى اعتناقهم الإسلام والإنعام عليهم واشتغالهم بالترجمة حتى قرب انتهاء العصر المملوكي^(٢٣) .

أما عن التراجمة الذين كانوا من أصل إيطالي فهناك العديد من الاشارات في بعض المصادر والمراجع عنهم ، سواء اعتنقوا الإسلام أم ظلوا على دينهم ، من ذلك أن السلطان الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج قد استخدموا مترجماً من أصل ايطالي ، من مدينة ساينا يدعى « برتراندودي ميجنانلي » والذي كان قد استقر به الحال في دمشق ، وأصبح واحداً من رجال الأعمال ، وأتقن اللغة العربية ، والذي استفاد السلطان برقوق من معرفته الايطالية

والعربية لكي يقوم بالترجمة بينه وبين سفير ميلان « يعقوب دي كروز » القادم من قبل دوج ميلان ومعه رسالة يطلب فيها الأذن من السلطان لاصلاح أحد أديرة الرهبان الفرنسيين سكان في بيت لحم ، وكذلك الوصاية بالمقيمين منهم في جبل صهيون ببيت المقدس ^(٢٤) . كما يذكر لنا الرحالة فريسكو بالدي الذي زار البلاد سنة ١٣٨٤م أن كبير الترجامة في القاهرة عندما زارها كان من أصل بندقي ، وارتد عن دينه « أي اعتنق الإسلام » وكانت زوجته فلورنسية الأصل ارتدت عن دينها هي ووالدها ، وقد كان والدها هذا وهو من أصل فلورنسي كذلك كبير الترجامة في الأيام السابقة ، وقد سلمه رسالة تحمل نبأ وفاة والده ولم يكن قد علم بذلك مما احزنه كثيراً ، إلى جانب عدة رسائل أخرى من بعض أصدقائه في البندقية . ^(٢٥) ثم يذكر أن الترجمان الذي صاحبهم في زيارتهم للأماكن المقدسة كان ايطالياً أيضاً . ^(٢٦) كذلك نسمع عن « يونس الترجمان في أواخر العصر المملوكي ، والذي كان نائباً لكبير الترجامة » تغري بردي ، ثم تولى منصب كبير الترجامة عقب القبض على تغري بردي وكما ستأتي الإشارة بذلك ، وظل كبيراً للترجمة منذ سنة ٩٢٠هـ / ١٥١٤م حتى سقوط دولة سلاطين المماليك على أيدي الاتراك العثمانيين ، ويونس هذا كان من مواليد مدينة فيرونا بايطاليا ، وكان يهودياً ثم اعتنق الإسلام ^(٢٧) .

وتجب الإشارة إلى وجود بعض الترجامة من جزيرة قبرص ، والذين تدفقوا على البلاد بوجه خاص في أعقاب الحملات الثلاث التي أرسلها السلطان « برسباي » في السنوات من ١٤٢٤ - ١٤٢٦م والتي انتهت بأن صارت قبرص من جملة بلاد السلطان ، ولا أدل على وجود هؤلاء الترجامة من أن أمراء الجزيرة كانوا يحتكمون إلى السلطان في القاهرة فيما ينشعب بينهم من خلافات ، حتى أواخر القرن الخامس عشر ، عندما آلت الجزيرة إلى البندقية عام ١٤٩٠م بمقتضى المعاهدة التي تنازلت بها مصر عنها للبندقية . ^(٢٨)

ثم نسمع عن كثير من اليهود من أصل أسباني قد اشتغلوا بالترجمة في شتى أنحاء السلطنة المملوكية في ذلك العصر ، بل يشير أحد المراجع أن منصب كبير الترجامة في القاهرة كان يتولاها طوال القرن الخامس عشر أشخاص معظمهم من يهود أسبان ^(٢٩) . والحقيقة أنني أميل إلى ترجيح هذا الرأي بدليل أن كبير الترجامة في سنة ١٤٣٠م أيام السلطان « برسباي » كان من أصل يهودي قشتالي من مواليد أشبيلية يدعى « صايم » ، وهو الذي التقى به الرحالة بيرو طافور بالقاهرة عام ١٤٣٥م ، وكان لايزال يشغل هذه الوظيفة ، وعمره آنذاك مايقرب من تسعين عاماً . ^(٣٠) كما أن ترجمان بيت المقدس في عام ١٤٢٠م كان يدعى « نصر الدين » وهو يهودي أسباني ارتد عن دينه الأصلي واعتنق الإسلام . ^(٣١) كذلك يذكر لنا الرحالة اليهودي « موشلام بن مناحم الفولتيري » ، الذي زار البلاد سنة ١٤٨١م أن كبير الترجامة في القاهرة آنذاك وهو « تغري بردي » من أصل يهودي أسباني ثم اعتنق الإسلام . ^(٣٢) كذلك يذكر لنا الرحالة « فيلكس فابري » الذي زار البلاد عام ١٤٨٣م أن بعض اليهود من أصل أسباني قد اشتغلوا كترجمة لمصاحبة الحجاج المسيحيين في زيارتهم لكثير من الأماكن المقدسة في فلسطين ، وكذلك ما رواه الرحالة « مارتن بوم جارتن » الذي زار البلاد عام ١٥٠٧م من قول « وتوجهنا في حماية اليهودي الذي كان يعمل ترجماناً لنا والعربي الذي قوم بحراستنا ، لكي نرى تلك الأماكن المقدسة » . ^(٣٣) هذا إلى جانب ما يذكره لنا الرحالة اليهودي « عويدياً البريتينوري » وهو أحد الربابنة اليهود الايطاليين الذين هاجروا إلى بيت المقدس ، انه عندما رست السفينة التي تقلهم إلى ميناء الاسكندرية بعد رحلة تعرضوا خلالها لكثير من العواصف ، فإن العناية الإلهية كانت ترعاهم وساقط إليهم كذلك رجلاً

محبوباً حتى من المسلمين وهو « الرابي موسى جراسو » والذي كان يعمل ترجماناً لدى البنادقة ، فاستضافهم في منزله طوال مدة اقامتهم بها ^(٣٤) وجدير بالذكر أن اشتغل اليهود الذين من أصل أسباني يرجع إلى بداية عصر سلاطين الممالك ، وبوجه خاص منذ أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فقد ذكر العمري واحداً منهم يدعى « صلاح الدين الترجمان » بأنه كان على دراية واسعة بلغة الأوفونش صاحب طليطة وأشبيلية وبلنسية وسرقسطة . ^(٣٥) أما فيما يتعلق بكثرة هؤلاء اليهود الذي نسمع عنهم ، وأنهم اشتغلوا بالترجمة سواء بعد إسلامهم أم مع بقائهم على ديانتهم الأصلية ، فتشير المراجع إلى أن اليهود قد هاجروا من أسبانيا ابتداء من عام ١٣٩١م أمام الاضطهاد الذي لاقوه في أعقاب حركة الاسترداد وحتى سقوط غرناطة آخر المعقل الإسلامية سنة ١٤٩٢م ، نتيجة لاستيلاء الأسبان المسيحيين على المدن العربية الواحدة تلو الأخرى ، وأنهم وجدوا أنفسهم مضطرين للهجرة بسبب تخيرهم بين النصر أو هجرة البلاد . ^(٣٦) ففضلوا الهجرة إلى بلاد السلطنة المملوكية لما تتمتع به من تسامح ديني وازدهار تجاري ، فضلاً عن أن اتقاهم لبعض اللغات المختلفة قد أهلهم لشغل وظيفة الترجمة ، أما بعد اعتناقهم الإسلام وانضمامهم إلى السلك المملوكي ، أو بالاشتغال مع بعض أبناء الجاليات التجارية الأوروبية . ^(٣٧)

وأخيراً تجب الإشارة إلى وجود ترجمة من « الاحباش » ودليلاً على ذلك ما يرويه ابن عبد الظاهر في سنة ٦٨٩هـ / ١٢٨٩م أيام السلطان المنصور قلاوون من أنه ورد إليه رسول من جهة ملك الحبشة وعلى يديه كتاب باللغة الحبشية فتمت ترجمته إلى اللغة العربية والذي يطلب فيه ارسال مطران للكنيسة الحبشية مما يدل على وجود بعض الترجمة من الاحباش حيث لم نسمع في المصادر المعاصرة عن وجود أحد ممن يتقن هذه اللغة من أبناء البلاد ^(٣٨) كذلك نسمع عن وجود بعض الترجمة من أصل ألماني ، والذي اشتغلوا بالترجمة ومصاحبة الحجاج المسيحيين في مدينة الخليل والقدس في القرن الخامس عشر للميلاد حسبما يشير أحد الرحالة بذلك ^(٣٩) .

أما عن اللغات التي عرفها هؤلاء الترجمة واستخدموها فقد كانت كثيرة ، منها العربية والتركية والمغولية والفارسية ، واللاتينية والإيطالية ، والعبرية والقشتالية ، والأرمنية واليونانية والحبشية والنوبية ، والغولانية والهندية ، والألمانية والفرنسية وغيرها من لغات البلاد التي كانت لها علاقات مع سلطنة الممالك في ذلك الوقت ، وكما سبقت الإشارة بذلك في الصفحات الأولى من هذه الدراسة . والحقيقة أنه فيما يتعلق بطريقة اعداد هؤلاء الترجمة فإن المصادر المعاصرة لم تهتم بذلك ، إلا أنه يمكن القول من خلال إشارة واحدة قد عثرنا عليها تفيد أنه كان هناك ما يشبه الاعداد في قلة من المدارس ، والدليل على ذلك أن الأمير أيتمش الجاسي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) والذي كان أتابك العساكر بالديار المصرية في عهد الظاهر برقوق أنه قد اشترط في مدرسي مدرسته التي بناها بباب الوزير في سنة ٧٨٥هـ / ١٣٨٣م والتي عرفت باسم المدرسة الايتمشية ^(٤٠) أن يكونوا « متكلمين باللسان العربي والعجمي والتركي والافباللسان العربي وأحد اللسانين المذكورين » . ^(٤١) بما يرجح وجود مدارس لتخريج بعض الترجمة الذين يجيدون اللغات السابق ذكرها .

● حياتهم وثوراتهم :

أما عن حياة هؤلاء الترجمة فواضح من خلال الاشارات المختلفة التي وردت عنهم في

المصادر المعاصرة ، أنهم عاشوا حياة رغدة وتمتعوا بكثير من الثراء ، والدليل على ذلك ما يرويه لنا ابن حجر العسقلاني سنة ٧٩٧هـ / ١٣٩٤م أيام السلطان الظاهر برقوق ، من أنه حدث خلاف بين ترجمان الاسكندرية شهاب الدين المالقي وبين المشرف على دار الضرب بها ، فعندما وصل الخبر بذلك إلى السلطات « فصادرها على ألف ألف درهم » .^(٤٢)

وما يشير إليه ابن الصيرفي من أن بدر الدين محمود بن عبد الله الكليستاني السيرامي أحد التراجمة في عصر نفس السلطات برقوق ، عند وفاته « خلف موجوداً قريب ألف ألف درهم » ومقداراً من « الذهب العين المصري وزن قنطار وخمسة عشر رطلاً بالمصري » ، وغير ذلك من أنواع القماش والحواصل »^(٤٣) كذلك من المؤشرات الدالة على سعة شرائهم منذ بداية العصر المملوكي ، ما يرويه لنا المقرئ عن « مكين الدين الترجمان بالاسكندرية » من أنه قد صودر له صندوق « فيه ذهب وزمرد وجوهر ثمين » ، كما عرف عنه أنه اعطى الوزير الكبير كريم الدين « ثلاثة وخمسين ألف دينار »^(٤٤) .

كذلك ذكر لنا الرحالة « فيلكس فابري » الذي زار القاهرة ١٤٨٣م أن منزل كبير التراجمة بها كان يحتوي على مجموعات كبيرة من الطيور والحيوانات النادرة ، سواء الاليفة منها أو المتوحشة ، مثل النعام والبيغاوات والأسود والديبة ، كل هذا في فناء المنزل بالإضافة إلى انه وجد لديه بعض المصريين في منزله يقومون ببعض الألعاب المسلية والحيل المختلفة ، مستخدمين فيها الدببة والزراف والأسود ، وهو ما يشبه إلى حد كبير ألعاب السيرك في أيامنا هذه^(٤٥) ، فضلاً عن أن هذا المنزل كان معداً لاستضافة الرحالة الأجانب والحجاج المسيحيين الغربيين ، بالإضافة إلى استضافة كبار الامراء والتجار والاعيان ، وبخاصة عقب عودة كبار التراجمة من رحلة إلى الخارج حيث يقيم لهم اللوائم الضخمة ، وفي الختام يتم السماح لكثير من العامة بالدخول وتناول ما تبقى من طعام حسبما يؤكد ذلك الرحالة « مارتين يوم جارتن » .^(٤٦)

وعن تلك الثروات التي تمتعوا بها فقد تعددت مصادرها ، يأتي في مقدمتها حرص سلاطين المماليك على الانعام عليهم باستمرار بكثير من المبالغ والمرتبات والهدايا حسبما تشير بذلك بعض المصادر المعاصرة .^(٤٧) يضاف إلى هذا الكثير من الهدايا من الحكام والملوك الذين تربطهم بمصر والشام علاقات مختلفة ، كان الهدف من ارسالها لهم تسهيل مهام بعض رسلهم وسفرائهم ، أو التوصية بأبناء الجاليات التي استقرت بسلطنة المماليك وتسهيل مصالحهم في مصر .^(٤٨) فضلاً عما كان يحصله كثير من هؤلاء التراجمة من مبالغ نقدية - سوى جالية السلطان - من الحجاج المسيحيين الذين يفدون إلى البلاد لزيارة الأماكن المقدسة المنتشرة في كل من مصر وبلاد الشام .^(٤٩) ويذكر لنا الرحالة « جوسي » مقدار ما كان يدفعه الشخص الواحد في رحلته لهؤلاء التراجمة في كل من الاسكندرية والقاهرة ، وغزة ، وبيت المقدس ، ودمشق بما لا يقل عن أربعين « دوكات » سوى الهدايا الأخرى .^(٥٠) كما أن هؤلاء التراجمة كانوا يحصلون على نسبة عالية قد تصل إلى عشرين في المائة من التجار ، نظير ما يشتريه منهم هؤلاء الحجاج كعمولة لهم .^(٥١) يضاف إلى هذا ما جاء في احدى الرسائل التي تضمنتها مجموعة وثائق الجينيزا ، والتي يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر للميلاد ، جاء فيها ان كل تاجر من أبناء الجاليات الأوروبية وكذلك تجار اليهود الذين يفدون على البلاد كان على الواحد منهم أن يدفع ديناراً ونصف الدينار للمترجم ومساعدته في المدينة أو الميناء الذي يحل به .^(٥٢) هذا إلى جانب المبالغ التي حصل عليها كل من اشتغل منهم في مساعدة التجار الأجانب في الموانئ المملوكية المختلفة في مصر والشام ، وهذه المبالغ

أشارت إليها بعض المعاهدات التي تم عقدها مع المدن التجارية ، والتي قدرت آنذاك على أساس ربع في المائة من جملة الصفقات التي يتم عقدها . ^(٥٣) بالإضافة إلى الراتب السنوي الذي كان يحصل عليه من قنصل الجالية التي يقدم خدماته لها . ^(٥٤)

كما ان بعض هؤلاء الترجمة قد أتاحت لهم الفرصة في الجمع بين وظيفة الترجمة وبعض الوظائف الأخرى ، والتي حصلوا بمقتضاها على كثير من الرواتب والأموال بل الاقطاعات التي تدر دخلاً كبيراً ، مثال ذلك ما يذكره لنا ابن تغرى بردي عن أوتامش الاشرفي

« ت ٧٣٧هـ / ١٣٣٦م » والذي ترجم للسلطان الاشرف خليل بن قلاوون ، ثم ولاه نيابة

الكرك إلى جانب الترجمة ، حيث كان يترجم له ما يصل من بلاد القطار من كتب . ^(٥٥) وما

يرويه لنا المقرئ عن جمال الكفاه ابراهيم « ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م » الذي كان يترجم بعدة

لغات إلى جانب توليه عدة من الوظائف الهامة منها « مشير الدولة » و « ناظر الخاص »

و « ناظر الجيش » ^(٥٦) وما رواه ابن الصيرفي عن القاضي بدر الدين محمود بن عبد الله

الكلساني الحنفي « ت ٨٠١هـ / ١٣٩٨م » من ان السلطان برقوق ولاه الترجمة ثم ولاه

كتابة السر الشريف أي رئاسة ديوان الانشاء ، فاجتمع له من المال الشيء الوفير . ^(٥٧) وأخيراً

ما رواه ابن طولون في حوادث سنة ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م أيام السلطان الاشرف قايتباي من أنه

في يوم الخميس ثامن جمادى الأولى ، « وصل الخبر إلى دمشق بأن السلطان ولى ترميغا

الترجمان المستشرف بالإسلام نظر جيش دمشق » ، كذلك ما يرويه في سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م

أيام السلطان محمد بن قايتباي من أن الأمير ترميغا الترجمان قد اختار نائباً عنه ليلي وظائف

« ناظر الاسرى ، ووقف السلطان ، والترجمة » وما رواه عن شهر المحرم سنة

٩١٦هـ / ١٥١٠م من أن ناظر الجوالى تسلم خلعة أتته من مصر « بالترجمة واستداريه

السلطان تكمله ست وظائف « فضلاً عن كونه أحد أمراء الألوف » . ^(٥٨) ولنا ان نتخيل دخله

الهائل من هذه الوظائف إلى جانب اقطاعه كأحد أمراء الألوف ، بما يؤكد وما سبق وأشرنا

إليه من حياة الثراء والبذخ التي عاشوها في ظل الحكم المملوكي .

نأتي بعد ذلك إلى دور الترجمة في مجال السياسة والمهام التي كلفوا بها ، ثم دورهم في

مجال المعاملات التجارية وأخيراً دورهم في مجال العلاقات الثقافية .

● دورهم في مجال الحياة السياسية :

يأتي عمل الترجمة في ديوان الانشاء في العصر المملوكي على رأس المهام التي كلفوا القيام

بها ، ذلك أن ديوان الانشاء في ذلك العصر كان أشبه ما يكون بوزارة الخارجية في عصرنا

الحالي ، ولقد حرص سلاطين المماليك على تعيين رئيس لهذا الديوان وهو الذي أطلق عليه

« صاحب ديوان الانشاء » والذي كان من أهم واجباته « النظر في المهندارية والترجمة » ،

أي الاشراف على الاشخاص الذين يقومون باستقبال السفراء ورسلك الملوك والترجمة . ^(٥٩)

وذلك لما لهم من أهمية خاصة في هذا الديوان ، حيث جرت العادة عند ورود الرسائل من ملوك

وحكام الدول التي لها علاقات بسلطنة المماليك ، أن يقوم المسئولون بالديوان بتسليمها

وفحص اختامها ثم فكها ، وتسليمها لأحد الترجمة الذين يجيدون اللغة المستخدمة فيها

لترجمتها ، وذلك بأن يكتب الترجمة في ورقة مرقوة ، ويلصقها بالرسالة الواردة ^(٦٠) وقد جرت

العادة أن يقوم مترجم آخر بمراجعة الترجمة الأولى للتأكد من صحتها أولاً ، وكنوع من

الحرص الزائد بكل كلمة يكتبها ملوك هذه البلاد وبخاصة المسيحية منها إلى سلاطين

المماليك ، فربما تنطوي على معاني يغفل أحد المترجمين ذكرها ، فيذكره بها المترجم

الآخر .^(٦١) وبعد ان تعرض هذه المراسلات على السلطان يقوم بالرد عليها من واقع النص العربي ، ثم تحفظ هذه المراسلات في الديوان ، وتعمل لها فهرسة خاصة للاحتفاظ بها وبترجمتها إلى العربية في قسم المحفوظات المعهود به إلى شخص يطلق عليه الخازن^(٦٢) والذي كان يقوم بعمل ملخص لكل كتاب واسم من قام بترجمته ثم يحفظه للاستعانة به عند الحاجة .^(٦٣)

وبديهي ان المعاهدات التي عقدت بين سلاطين المماليك وبين حكام وملوك الغرب الأوروبي ، أو بينهم وبين الصليبيين في بلاد الشام في بداية العصر المملوكي أو بينهم وبين المغول ، لم تكن سوى مرحلة ختامية ، وتتويجاً لجهود وأعمال دبلوماسية جادة قام بها تراجمة وسفراء اشتركوا في مفاوضات ، وحملوا أثناء اجرائها ما حملوه من مراسلات ومكاتبات ليمهدوا لعقد هذه المعاهدات ، وأنهم في عملهم هذا كانوا يتحركون وفقاً لقواعد ونظم وشرائع وقوانين وتقاليدهم كان عليهم الالتزام بها ومراعاتها بدقة وتقرير لما يقومون به من مهام .^(٦٤)

كما أنه من الواضح أن دور الترجمة أثناء المفاوضات والاعداد للمعاهدات لم يقتصر على مجرد الترجمة كما قد يتصور البعض ، لكنهم كانوا بمثابة نواب عن السلاطين ، أو مبعوثين رسميين أو سفراء يمثلون السلاطين الذين يعهدون إليهم بهذا العمل ، والذين يقومون بالاتصال والتعاقد مع ممثلي البلاد الأخرى ؛ على أن يكون الرجوع في نهاية الأمر إلى السلاطين أصحاب السلطة العليا ، للتصديق على هذه المعاهدات ، مثال ذلك المعاهدة التي عقدت بين سلطنة المماليك ومملكة أرغون سنة ٦٨٩هـ / ١٢٨٩م ، فقد تم الرجوع إلى السلطان المنصور قلاوون والملك الفونس الثالث لاعتمادها .^(٦٥) كذلك الحال في المعاهدة التي تم توقيعها بين سلطنة المماليك وملك أرغون الفونس الخامس سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م فقد مثل فيها السلطان المملوكي سيف الدين شاهر الترجمان وشخص آخر يدعى ناصر الدين محمد ابن الميمون ، والذي لم تذكر الوثيقة شيئاً يوضح شخصيته ، وكان هو والترجمان يحملان أوراق اعتماد من قبل السلطان المملوكي بتاريخ ١٥ شعبان سنة ٨٣٣هـ .^(٦٦) كما أن المفاوضات التي سبقت توقيع المعاهدة التي بمقتضاها تم تنازل مصر عن قبرص سنة ١٤٩٠م ، والتي شارك فيها تغري بردي كبير تراجمة السلطان ، ولم يكن دوره قاصراً على الترجمة كما يتضح من نص الخطاب الذي زود به « دوج » البندقية رسوله قائلاً « ويوجد ترجمان للسلطان اسمه تانزبايد » « تغري بردي » نعلم أنه من ذوي النفوذ والخبرة وعلى دهاء كبير ، ويحسن ان تحصل على معاونته ... لتسهيل مهمتك المنشودة » ومن هذا النص يتضح لنا انه قد لعب دوراً في تسهيل حصول البندقية على موافقة السلطان على ما اتخذته البندقية من اجراءات برفع علمها على جزيرة قبرص التي كانت خاضعة لمصر ، ثم تنازل لهم عنها في مقابل تعهدهم بدفع الجزية له سنوياً .^(٦٧)

ويمكن أن يقال نفس الشيء بخصوص ما حدث عام ١٥٠٦م عندما كلف السلطان الغوري كبير الترجمة بمفاوضة البندقية ، وحيث كان حريصاً على الوصول معها إلى اتفاق بسبب قيام فرسان الاستبارية في رودس بشن سلسلة من الاغارات على السفن المملوكية ، وهي محملة بالبضائع والاخشاب والعتاد اللازم لبناء السفن ، بقصد عرقلة المجهود الحربي التي تقوم به سلطنة المماليك لمواجهة خطر البرتغاليين ، فأرسله لمباحثتهم في موضوع امداده بالاخشاب والاسلحة لبناء قوة بحرية تمكنه من متابعة الحرب ضد البرتغاليين ، وفي طريقه إلى البندقية مر « تغري بردي » بجزيرة رودس للتفاوض مع رئيس الفرسان

الاستبارية في أمر استعادة السفن المملوكية التي استولوا عليها عام ١٥٠٥م ، وما كان بها من متاجر ، غير أنه لم ينجح في هذه المهمة ، وإنما تمكن من شراء عدد كبير من أسرى المسلمين بالجزيرة وكان معظمهم من المغاربة ، وبلغ مجموع ما دفعه ثمناً لخلاصهم نحواً من خمسين ألف دينار .^(٦٨) ثم واصل رحلته إلى البندقية وهناك انتهت المفاوضات إلى عقد اتفاق تجاري بين البندقية وبين السلطان الغوري على أن تساهم البندقية في بناء الاسطول المملوكي ، دون أن يؤدي ذلك إلى اظهارها أمام الأوروبيين بمظهر الدولة التي تساعد علانية ، ثم وصل « تغري بردي » إلى فلورنسة حيث عقد اتفاقاً تجارياً مماثلاً ثم عاد إلى القاهرة في سبتمبر ١٥٠٧م بعد غيبة دامت ثمانية عشر شهراً .^(٦٩)

ومهما قيل عن الدور الخطير الذي قیل أن هذا الترجمان قد لعبه ، والذي وصل إلى علم السلطان من رجال مخابراته ، بأنه وقع في ايديهم عدة رسائل كان تغري بردي قد كتبها لبعض ملوك الفرنج يذكر لهم فيها أن السلطان غير جاد في استعداداته العسكرية ، وأن السواحل كلها مكشوفة بدون حماية ، فضلاً عن عجز السلطان عن مواجهة الخطر البرتغالي ، وتم كشف ذلك في الحادي عشر من محرم ٩١٧هـ / العاشر من مارس ١٥١١م ، وكان هذا آخر العهد بتغري بردي في وظيفته ، إذ أمر السلطان بالقبض عليه ومصادرة أمواله ، واستمر سجيناً حتى عام ٩١٩هـ / ١٥١٣م^(٧٠) فعلى أية حال كيف يمكن تفسير اطلاق سراحه بعد عامين ، فلو ثبتت خيانتة فعلاً لكان من السهل جداً اعدامه ، خاصة وأنه لم يكن من كبار امراء المماليك الذين يخشى منهم لكثرة مماليكه وأتباعه ، والذين كان عادة ما يتم التخلص منهم أما بالسجن أو النفي أو الاعدام . وما حدث منه يمكن تبريره في ضوء ما اتخذه السلطان من اجراء بالتهديد بغلق كنيسة القيامة ، والتهديد بإلحاق الضرر برعايا السلطان من المسيحيين المحليين ، وأنه لو صح وأنه كاتب فعلاً هؤلاء الملوك ، فقد كان ذلك بغرض اظهار اضطراب احوال السلطان وعدم قدرته على اتخاذ القرار السليم والمناسب في ظل الظروف المحيطة به . وليس من قبيل المنطق ان يكون هو نفسه الذي عقد مثل تلك الاتفاقات السابقة بخائن ، لكن من المرجح أن تلك التهمة كانت للايقاع به عند السلطان ، وخاصة وان مثل تلك العملية كانت بمثابة العرف المتبع في ذلك العصر . وعلى أية حال فإن مثل هذه الحالة الفريدة لا يصح مطلقاً أن تجعلنا نتجاهل ما كان لهذه الفئة من جهد واضح طوال عصر استمر ما يقرب من ثلاثة قرون .

وكما كان لهؤلاء التراجمة دورهم أثناء الاعداد للمفاوضات والمعاهدات كان لهم دورهم أيضاً عند احداث أي تعديل في تلك المعاهدات ، وذلك عندما يجد الطرفان الموقعان على المعاهدة ان الظروف التي ابرمت فيها قد اعترتها تغيير ، مما يدفعهما إلى اعادة النظر في بعض شروطها بالحذف أو الاضافة أو التعديل . كذلك كان لهم دورهم في عملية فسخ المعاهدات ، حيث كان يتم ايفادهم إلى الطرف الثاني وابلاغه شفويّاً بذلك الفسخ والاسباب التي يراها الفاسخ موجبة للفسخ ، كذلك في المفاسخة وهي كما يفهم من اللفظ تكون من الجانبين ، وفي بعض الاحيان في حالة خرق الهدنة حيث تتم المراسلات بين الجانبين يحاول كل طرف فيها أن يحمل الطرف الآخر وزر خرق الهدنة ونقضها .^(٧١)

وكانت المفاوضات المختلفة التي شارك فيها هؤلاء التراجمة تجري بطريقة شفوية غالباً ، وان كان هناك ما يشير أيضاً إلى ارفاقها بمكاتبات ومراسلات تحريرية في بعض الحالات والتي تطلبت منهم جهداً كبيراً في صياغة الشكل النهائي والمتفق عليه من جميع الاطراف ، وغالباً ما خرجت لنا في شكل معاهدات تميزت بسوء العبارة كما يذكر القلقشندي ذلك ، الا ان ذلك

كان مرده إلى طريقة التفاوض والاتفاق على المعاهدة مادة مادة وتدوينها خوفاً من مظنة التعديل إذا تمت مراجعة أسلوبها^(٧٢). ومن الناحية الزمنية قد تستغرق المفاوضات جلسة واحدة وقد تمتد عدة جلسات ، وذلك حسب المشاكل التي تتناولها المفاوضات ، مما يدعو إلى تكرار اللقاءات ، مع استغراق الوقت اللازم لدراسة ومراجعة المفاوضات للسلطات العليا في بلده لعرض الاتفاقات المبدئية ، وكان من المعتاد الرجوع إلى السلطات العليا لاعتماد ما قد يعقد من معاهدات والتصديق عليها^(٧٣).

وحيث ان دولة سلاطين المماليك كانت دولة إسلامية ، فإن توجيه مسارات العلاقات الخارجية كان يعتمد على القرآن الكريم كمصدر أساسي لاغنى عنه ، لذلك نرى ان المعاهدات والاتفاقات التي كانت تعقدها الدولة عن طريق هؤلاء الترجمة ، كان يتم تكليف ترجمة مسلمين للقيام بها ، مع تكليف عدد آخر من الترجمة بقراءة الصبغ النهائية ومراجعتها قبل التصديق عليها من السلطات العليا ، وخير مثال لذلك ما يرويه لنا ابن عبد الظاهر في حديثه عن الهدنة التي عقدت بين المنصور قلاوون وبين الجنوبية سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م حيث يقول انه تحررت فصول هذه الهدنة المذكورة ، وعند عرض صيغتها النهائية على السلطان « قرأ ما فيها من القلم الفرنجي المنقول إلى العربي شمس الدين عبد الله المنصوري ، وترجم عليه لتحقيق التعريب ، والشهادة بصحته سابق الدين الترجمان وعز الدين أيبك الكبكي الترجمان في التاريخ المذكور »^(٧٤).

وفي حالات أخرى كان يتم تزويد هؤلاء الترجمة والرسول ببعض فقهاء المسلمين حتى يكونوا عوناً لهم ، ومرشدين لهم فيما يعترضهم من أمور قد تتعارض مع الدين ، مثال ذلك ما يرويه النويري من أن الظاهر بيبرس أرسل سفارة إلى الفونسو العاشر صاحب أشبيلية رداً على سفارته ، وكان الوفد الذي أرسله بيبرس يتكون من الأمير سيف الدين الجلدي والأمير عز الدين أيبك الكبكي والفقيه عماد الدين حسين بن همام مرتضى^(٧٥) كذلك ما نسمعه من أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون رد على السفارة التي أرسلها له ملك قشتالة فرناندو الرابع سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م بأن أرسل له سفارة معها بعض الترجمة ممن يجيدون التحدث بلغة أهل قشتالة ومعهم القاضي حميد الدين ، وتم استقبالهم في البلاط القشتالي بكل مظاهر اللود والترحاب^(٧٦).

ومن المهام التي كلف بها بعض هؤلاء الترجمة ما تشير إليه بعض المصادر المعاصرة من قيامهم بصياغة بعض الرسائل وكتابتها باللغة اللاتينية ، ثم إرسالها إلى الفرنج المقيمين ببلاد الشام في فترة الحروب الصليبية النشطة ، ونقصد بها الفترة التي شهدت وجود مستعمرات صليبية ، وكان الهدف من كتابة مثل هذه الرسائل والتحليل في إيصالها إليهم ، هو إيقاع الفرقة بين صفوفهم ، وقد كانت هذه الوسيلة من الوسائل الناجحة التي لجأ إليها السلاطين الأوائل مثل الظاهر بيبرس ، وسهلت لهم الاستيلاء على بعض المعاقل والحصون التي كانت بأيدي الفرنج^(٧٧).

كذلك يمكننا القول ان بعض هؤلاء الترجمة قد شاركوا بدور فعال في مقاومة الجاسوسية ، وليس أدل على ذلك مما يرويه لنا الرحالة « فريسكو بالدي » أثناء زيارته لمدينة الاسكندرية سنة ١٣٨٤م مع بعض الحجاج المسيحيين ، من أن الترجمان بها أخذ يسألهم عن كثير من الأشياء ، عن عاداتهم وتقاليدهم ومصادر ثروتهم ، وعن البابوية والإباطرة ، وأحوال بلادهم السياسية ، وكلها أسئلة لها مدلولها ، وعند مغادرتهم للاسكندرية في طريقهم إلى القاهرة فقد تم تسليمهم لأحد الترجمة وابنه وقد قام بمصاحبتهم وتوصيلهم حتى منزل

كبير الترجامة في القاهرة ، فضلاً عن أنهم كانوا يرصدون جميع تحركاتهم أثناء مصاحبتهم لهم ، ويسجلون أعدادهم وأوصافهم في كل مرحلة من مراحل تنقلاتهم زاعمين لهم أن الهدف من ذلك هو حمايتهم .^(٧٨)

كما أن منصب كبير الترجامة في ذلك العصر كان أشبه بمنصب وزير الخارجية في عصرنا الحالي ، فهو الذي يناط به مهمة استقبال الرسل والسفراء والرحالة والحجاج الأوروبيين الذين يفدون إلى البلاد ، وهو الذي يستضيفهم نيابة عن الدولة في داره ، وهو الذي يقوم بعرض ما يحملون من رسائل على السلطان وترجمتها إلى العربية أو التركية قبل تشرفهم بالمثل بين يدي السلطان ، حتى تتاح له فرصة دراستها ، ثم هو الذي يصحبهم إلى قصر السلطان في القلعة حيث يستقبلهم السلطان ، ويقوم بمهمة ترجمة الحديث المتبادل بينه وبينهم .^(٧٩) فضلاً عن أنه كان المسئول الأول عن الترجامة المنتشرين في بلاد السلطنة المملوكية حسبما يشير بذلك فريسكو بالدي^(٨٠) . كذلك من المهام التي كانت ملقاة على عاتقه داخل العاصمة ، مايرويه لنا الرحالة اليهودي موشلام بن مناحم الفولتيري عن كبير الترجامة تغري بردي سنة ١٤٨١م ، أنه كان يكلف رؤساء الاحياء أو « مشايخ الحارات » في القاهرة والذين بلغ عددهم آنذاك ٢٤ حياً ، بأن يبلغوه مساء كل يوم بعدد المواليذ والوفيات التي تحدث لديهم^(٨١) .

كانت هذه بعض الاشارات التي قصدنا منها القاء الضوء على دورهم في مجال الحياة السياسية في ذلك العصر والآن نأتي إلى مجال آخر من المجالات التي ساهموا فيها .

● دورهم في المعاملات التجارية :

شهد العصر المملوكي بمصر والشام وجود العديد من أبناء الجاليات الأجنبية التجارية ، نتيجة لازدهار التبادل التجاري بين سلطنة الممالك وبين المدن التجارية الأوروبية المختلفة ، مما أدى إلى أن كل جماعة من التجار الذين ينتمون إلى بلد واحد كانوا يختارون أحد الترجامة . وقد كفلت السلطات المملوكية حرية هؤلاء التجار وقناصلهم في اختيار الترجامة الذين يتعاونون معهم ، فقد جاء في كثير من المعاهدات التجارية ما يشير إلى حرية أي تاجر من هؤلاء التجار في اختيار المترجم الذي يتعاون معه بدون تدخل من السلطات المملوكية ، كما أنها نصت صراحة بأن للقنصل الحرية التامة في اختيار من يتعاونون معه من بين ترجمة ديوان القبان ، سواء أكان مسلماً أم يهودياً أم نصرانياً ، داخل الفندق أو خارجه ، في عمليات البيع والشراء^(٨٢) كما يبدو لنا أن مهمة هذا الترجمان كانت لتعريف أبناء هذه الجاليات بقوانين البلاد ونظمها وتقاليدها ، فضلاً عن مساعدته لهم في اتمام الصفقات التجارية .

ويجدر بنا أن نشير إلى أن « المترجم » كان معتمداً من الحكومة وثقة عند جميع الاطراف المتعاملة سواء من التجار الوطنيين أم التجار الاجانب الذين توافدوا على البلاد وليس أدل على ذلك مما جاء في احدى الوثائق المحفوظة بدار الوثائق بالبندية ، والتي ترجع إلى عام ٨٩٥هـ / ١٤٩٠م ، والتي يتضح منها مدى أهمية هذه الفئة من الترجامة في المعاملات المملوكية الأجنبية ، والتي سلم - حسبما تشير الوثيقة - قنصل البنادقة بالاسكندرية إلى المترجم السلطاني ستة آلاف دينار ليقوم بدوره بتسليمها للسلطان بالقاهرة ، وكان ذلك تنفيذاً لاتفاق سابق . وفي وثيقة أخرى مؤرخة في سنة ٨٢٦هـ / ١١ من فبراير ١٤٢٣م نقف منها على بعد آخر لخطورة مركز المترجم في المعاملات المالية ، حيث يقسم خمسة من

المرجمين أمام وإلى ثغر الاسكندرية وأمام مجلسه من الفقهاء على القيام بتبليغ الوالي بشحنات البضائع التي تصل إلى ديوان الخمس فور وصولها وبدون تأخير^(٨٣).

ولم يكن دور هؤلاء التراجمة قاصراً على تسهيل واتمام الصفقات التجارية التي كان يتم عقدها بين التجار المحليين والتجار من أبناء الجاليات الأجنبية ، والتي تركزت بصفة خاصة في المتاجر الشرقية والمنتجات المحلية ، بل نسمع في المصادر المعاصرة عن قيام بعض هؤلاء التراجمة بدور الوسيط التجاري في تزويد هؤلاء التجار الاجانب باحتياجاتهم اليومية من أطعمة وأشربة وخلافه ، من ذلك ما يشير إليه أحد المؤرخين المعاصرين من أن الأمير الماس الحاجب في عصر الناصر محمد بن قلاوون ، كان لديه في اصطبله عدة كبيرة من الخنازير ، وكذلك في بلاد من اقطاعه ، وكان يبيعها للتجار الفرنج الواردين إلى الأبواب الشريفة بأعلى الاثمان مستعيناً ببعض التراجمة في بيع هذه الخنازير في مقابل حصولهم على بعض السمسة^(٨٤) . كذلك يفهم مما جاء في الخطاب الذي أرسله سفير دوج البندقية إلى بلاده في ٢٤ نوفمبر ١٤٨٩م أن كبير التراجمة « تغري بردي » في عصر السلطان الاشرف قايتباي قد لعب دور الوسيط التجاري بين الدويدار الكبير في ذلك الوقت وبين البنادقة ، فضلاً عن كونه قد بذل مساعيه لتأمين سلامة ووصول بعض السفن الرودية وعليها البضائع الخاصة بالدويدار الكبير والمصدرة من مصر^(٨٥).

هذا إلى جانب ما يشير إليه الرحالة اليهودي موشلام بن مناحم الفولتيري من أن كبير التراجمة « تغري بردي » في سنة ١٤٨١م قد منحه توصية تم بمقتضاها منحه اعفاءً من دفع الرسوم الجمركية على الاحجار الثمينة التي جلبها معه في زيارته لمصر ، فضلاً عن انه سهل له مهمة قيامه ببيعها ، وكانت هذه الرسوم تقدر بنحو ١٠٪ من قيمة مثل هذه السلع في ذلك الحين^(٨٦).

كما قام كثير من الحجاج المسيحيين باستئجار الدواب التي تحملهم أثناء فترة طوافهم بالاماكن المقدسة في كل من مصر وبلاد الشام ، إلى جانب استئجارهم للعديد من المنازل أو الغرف من أهالي بيت المقدس بوجه خاص ، حيث يقضون بها أطول فترة في رحلتهم ، كل ذلك عن طريق التراجمة أو مساعديهم حسبما يؤكد لنا ذلك كل من « فيلكس فابري » و« برايد نباخ » في حديثهما عن الحج إلى بيت المقدس ، كما قام هؤلاء التراجمة بدور الوسيط بينهم وبين البدو لحماية الحجاج وعدم الاغارة أثناء تنقلاتهم^(٨٧) . بالإضافة إلى ما قام به بعض هؤلاء التراجمة من احضار بعض الاشخاص الذين يقومون بطهي الطعام ، وسقى الماء وتقديم الخدمات المتعلقة بالمأكول والمشرب لهؤلاء الزوار في رحلاتهم إلى الأماكن المقدسة ، وكانوا دائماً محل ثقة الحجاج وبخاصة الذين يكثرون التردد على هذه البلاد^(٨٨).

ويفهم ما رواه ابن حجر العسقلاني في حوادث سنة ٧٨٢هـ / ١٣٨٠م أن بعض أبناء الجاليات التجارية الأجنبية الموجودة بالبلاد كانوا يستعينون بهؤلاء التراجمة في عرض شكاوهم على السلاطين وكبار الأمراء ، وللحصول على ما لهم من حقوق تجاه بعض أبناء البلاد من التجار ، وأنهم كانوا يستعينون بهم عند الاحتكاك لفض ما قد ينشب بينهم وبين أبناء البلاد من خلافات^(٨٩).

كذلك كان يدخل ضمن اختصاصات التراجمة في المدن والمواني التي بها جاليات من التجار الأوروبيين حضور توقيع العقد الذي يتم بين أبناء جالية من الجاليات وأحد البريدية والذي يتعهد فيه هذا البريدي بتوصيل رسائلهم إلى احدى المدن مثل عكا أو بيروت ، واحضار ما يثبت تسليمه الرسائل نظير أجر معين يحصل عليه ، وبموافقة صاحب البريد

في المدينة التي تم بها التوقيع ، ولدنا من هذا النوع وثيقة يرجع تاريخها إلى الثاني من صفر سنة ٨٢٠هـ / الحادي والعشرون من مارس ١٤١٧ م ، يذكر فيها ابراهيم بن البدرى المترجم أنه حضر توقيع عقد بين أحد رجال البريد ويدعى سليمان بن علي بن سليم المعروف بالقصار من ناحية ، وبين قنصل البندقية في الاسكندرية ومساعدته التاجر الارمني ميرزا شنودة من ناحية أخرى .^(٩٠) كان هذا فيما يتعلق بدورهم في المعاملات التجارية ثم نأتى إلى دورهم الثقافي .

● دورهم الثقافي :

وفيما يتعلق بدور الترجمة الثقافي فالحقيقة ان المصادر والمراجع التي تحدثت عنهم لم تشر بوضوح إلى ما يساعدها على الحديث عنهم بشكل مناسب ، ومع هذا سوف نحاول القاء بعض الاضواء على جهودهم في هذا المجال من خلال ما تيسر لنا الحصول عليه أو استنباطه من تلك الاشارات النادرة . فمن المعروف وكما سبقت الإشارة بذلك أن كبير الترجمة في القاهرة كان له مساعدون من الترجمة في كل مدينة من المدن التي زارها الحجاج والرحالة المسيحيون الغربيون في ذلك العصر ، ويأتي في مقدمة هؤلاء الترجمة ترجمان بيت المقدس ، والذي كان يتولى مهمة استقبالهم إذا كانوا قد أتوا إليها من البحر - بيافا ، ويقوم باثبات شخصية كل منهم في بطاقة خاصة ، يرسل نسخة منها إلى القاهرة لعرضها على السلطان ، فضلاً عن أنه ومساعدوه ، كانوا يقولون ارشاد هؤلاء الرحالة طوال الطريق من يافا إلى بيت المقدس ، وفي القدس يتولون مهمة توجيههم أثناء زيارة الأماكن المقدسة وارشادهم وتوضيح ترتيب الأماكن التي يجب عليهم زيارتها ، والمسافة بين كل منها ، وربما اعطاء فكرة عنها بما تحمله من ذكريات ترتبط بالعقيدة المسيحية .

أما إذا وصل هؤلاء الرحالة أولاً إلى الاسكندرية ، فكانت تتبع معهم الاجراءات السابقة في اثبات شخصيتهم ، ثم يتوجهون إلى القاهرة بعد زيارة بعض الكنائس في الاسكندرية ، ولاشك أن الترجمة كانوا يتبارون في اظهار معلوماتهم المتعلقة بمثل هذه الأماكن ، وفي القاهرة يحدث نفس الشيء ، ثم يتوجهون إلى سيناء لزيارة معالم منطقة سانت كاترين ، ولم يقتصر دور الترجمة هنا على مجرد الارشاد السياحي ، بل تعداه إلى اعطاء هؤلاء الرحالة فكرة عن طبيعة البلاد التي سيمرون بها ، والعقبات التي تنتظرهم ، وكذلك كيفية التصرف في حالة تعرضهم لبعض الازعاجات ، وبخاصة من الحشرات الموجودة بها ، وخير مثال لذلك ما يرويه لنا الرحالة اليهودي موشلام بن مناحم الفولتيري عندما عزم على زيارة سانت كاترين ثم القدس قادماً إليهما من القاهرة ، فقد نصحه الترجمان بأن يأخذ معه بعض الليمون ، حيث ستخرج عليه أسراب من حشرات موجودة في رمال الصحراء منها حشرة تسمى « قملة فرعون » والتي يبلغ طول الواحدة منها ضعف طول الذبابة ولونها أحمر ، ولا علاج للدغتها غير عصير الليمون الذي يمنع الجروح من أن تتقيح ، ولولا عمله بهذه النصيحة لعانى كثيراً من الحشرة^(٩١) . وبذلك كان دور الترجمة يتناول شرح بعض عادات أهل البلاد وربما قوانينهم وتقاليدهم التي يجب أن يحرص الأجانب على مراعاتها والالتزام بها .

كذلك لانسبعد أن يكون بعض الترجمة قد قاموا بدور ثقافي واضح ، مثل ترجمان بلاد التكرور المقيم في مصر ، والذي شهد ازدهار الثقافة العربية في القاهرة ، كاهم معقل للحضارة العربية آنذاك ، وربما كان له دور في تعريف واقبال كثير من أبناء تلك البلاد عند توافدهم على مصر في مواسم الحج على شراء كثير من الكتب التي ألفها علماء مصر ، وبخاصة في الفقه

المالكي السائد في تلك البلاد (٩٢).

كذلك وردت إشارة عند القلقشندي يفهم منها دور بعض التراجمة الثقافي على الأقل داخلياً ، وربما ساعدهم على ذلك رحلاتهم إلى الخارج ومشاهداتهم ، فقد وردت فتياً إلى الديار المصرية وعرضت على أحد التراجمة والتي كانت له معرفة بلغة بلاد الصقالبة من بعض أهلها يسألون فيها كيف تكون صلاة أهل بلد لا يغيب عنهم الشفق ، وقد قام بكتابة الرد عليهم ، فضلاً عن أنه قام باعطاء بعض معاصريه فكرة عن هذه البلاد قائلاً « أن منها يجلب السمرور والسنباب » ثم قال : « وليس بعدهم في العمارة شيء » (٩٣).

وفي الختام أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه من اللقاء بعض الضوء على التراجمة في عصر سلاطين المماليك ، لعلي بذلك أكون قد أسهمت بقدر متواضع من خلال هذه الدراسة لآظهار مدى المستوى الحضاري الذي وصلت إليه دولة سلاطين المماليك في العصور الوسطى . والله ولي التوفيق .

الحواشي

- ١ - المقرئزي : السلوك ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٩٢٤ - ٩٢٥ ، ابن الصيرفي : أنباء الغمر ، ص ٣٦٢ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ص ٢٣٥ ، جمال سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، ص ١٠٠ .
- ٢ - محمد عبد الله عنان : « العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة والممالك الإسبانية .. » أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ١٩٦٩ ، ج ٣ ، ص ١١٩٤ - ١١٩٦ .
- ٣ - بدرو مارتينث : « العلاقات الدبلوماسية بين مصر وقشتالة .. » أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٧٦ - ٢٨٢ .
- ٤ - عز الدين فودة : النظم الدبلوماسية ، دار الفكر العربي ١٩٦١ ، ص ١٣١ .
- ٥ - عمر كمال توفيق : الدبلوماسية الإسلامية ، ١٩٨٦ ، ص ١١١ .
- ٦ - أحمد دارج : « الوثائق العربية المحفوظة في دور الأرشيف الأوروبية » أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، ج ١ ، ص ١٢٥ - ١٣١ .

Amari : I Diplomi Arabi PP. 220-250 .

- ٧ - النويري : نهاية الإرب ، ج ٢٩ ، مخطوط ، ورقة ١٠٩ ، ابن ايبك : الدر الفاخر ، ص ٣٠٨ ، المقرئزي : السلوك ، ج ٤ قسم ٢ ص ٧١٨ ، ابن تغري بردي : حوادث الدهور ، ص ٢٢١ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٢ ، ص ٤٧ - ٥٦ . منى ابراهيم : السفارات الأجنبية في مصر ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ، ص ٧٩ - ٨٢ .
- ٨ - علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، القاهرة ١٩٨٦ ، ٢١٢ .
- ٩ - المقرئزي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ص ٤٧١ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، ص ٢٦٢ .
- ١٠ - ابن عبد الظاهر : تشریف الايام والعصور ، ص ١٧٠ - ١٧٢ .
- ١١ - منى ابراهيم : نفس المرجع ، ص ٢٥٠ .
- ١٢ - ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٣٩ .
- ١٣ - اثناء الغمر ، ج ١ ، ص ٤٧٦ .
- ١٤ - ابن خلدون : العبر ، ج ٥ ، ص ٤٣٤ ، ابن حجر : الدر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٣٨٣ ، وعن علاقات مصر ببلاد التكرور راجع ، على السيد علي : التبادل التجاري بين مصر وبلاد التكرور وانعكاساته على أحوال مصر

- في العصر المملوكي ، بحث مقدم لندوة تاريخ العرب وافريقيا بجامعة القاهرة ابريل ١٩٨٧ .
- ١٥ - السلوك ، جـ ٣ ، قسم ١ ، ص ١٠٩ .
- ١٦ - العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٤٧ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ١١٢ .
- ابن حجر : الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .
- ١٧ - نعيم زكي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها ، ص ٤٢٤ .
- ١٨ - ابن الصيرفي : انباء الهصر ، ص ١٢٦ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٠٠٨ ، ج ١١ ، ص ١١٤-١١٥ .
- ١٩ - مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .
- ٢٠ - المقرئزي : السلوك ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٤٧٣-٥٠٨ .
- ٢١ - ابن حجر : ابناء الغمر ، ج ١ ، ص ٢٥٦ ، ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ١ قسم ٢ ، ص ٣٠٧ .
- ٢٢ - الروض الزاهر ، ص ٢٠٢-٢٠٣ .
- ٢٣ - المقرئزي : السلوك ، ج ٢ قسم ٣ ، ص ٧٩٤ ، ابن طولون : مفاكهة الخلان ، ج ١ ، ص ١٢٠ .
- 24 - Fischal : (Introduction to Vita Tamerlani) in Oriens, Vol. 9, 1956. PP. 206-207 .
- احمد عبد الكريم سليمان : تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٣-٤ .
- 25 - A Visit to the Holy Places, PP. 44-52.
- 26 - Ibid : Op. Cit. P. 58.
- ٢٧ - ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ٣٦١-٣٦٢ ، أحمد دارج : المماليك والفرنج ، ص ١٤٦-١٤٨ .
- Thenaud : Le voyage d'outremer, Paris 1884 ,
- ٢٨ - سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٢٣٠-١٢٣٢ ، توفيق اسكندر : سفارة بيرو ودييرو ومعاهدة تنازل مصر عن قبرص ١٤٩٠ ، ص ١٣-١٥ .
- ٢٩ - أحمد دراج : المماليك والفرنج ، ص ٣٨ .
- 30 - Pero Tafur : Travels and adventures, PP. 72-73 .
- 31 - De La Brocquiere : Voyage d'outremer, P. 14.
- 32 - Adler : Jewish Travellers. PP. 160-161 .
- ٣٣ - علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، ص ١٠٤ .
- 34 - Ibid : Op. Cit. P. 220 .
- ٣٥ - العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ٦٢ .
- Salo Wittmayer Baron : A Social And Religious History of the Jews, New York, 1980, P. 264 .
- ٣٧ - ليفي بروفنسال : الحضارة العربية في أسبانيا ، ١٩٨٥ ، ص ١٣٢-١٣٣ ، قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠ ، Ibid : Op. Cit. P. 267 .
- ٣٨ - ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والعصور ، ص ١٧٠-١٧٢ .
- ٣٩ - علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، ص ١٠٤ .
- ٤٠ - ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ١٤٥-١٥١ .
- ٤١ - محمد عبد الستار عثمان : وثيقة وقف جمال الدين الاستادار ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ٧٨-٧٩ .
- ٤٢ - ابن حجر : ابناء الغمر ، ج ١ ، ص ٤٩٠ .
- ٤٣ - نزهة النفوس ، ج ٢ ، (٢١-٢٤) .
- ٤٤ - السلوك ، ج ٢ قسم ١ ، ص ٢٤٩ ، ج ٢ قسم ٢ ، ص ٣٠٨ في حوادث سنة ٧٢٣هـ أيام الناصر محمد بن قلاوون .

45 - Margoliouth : Cairo, Jewsaalem and Damascus, P. 160.

46 - The Travels of Martin Baumgarten, PP. 441-442 .

٤٧ - ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ١٣٩ .

٤٨ - توفيق اسكندر : تاريخ مصر في محفوظات البندقية ، وثائق غير منشورة ، السلسلة الأولى ، المعاهدات ١٩٥٦ ، ص ٨ .

49 - Gucci : A visit to the Holy Places, PP. 95-103; Van de Joos : Le Voyage En Egypte. PP. 16-17 .

50 - Ibid : Op. Cit. PP. 150-151 .

٥١ - علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، ص ٢١٧ .

52 - Goitein : Letters of Medieval Jewish Traders, Princeton 1973, P. 58 .

٥٣ - الطاهر مكي : معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر ، مجلة المجلة ، عدد يناير ١٩٦١ ، ص ٩٢ .
Alarcon : Las Documentos Arabes, Madrid 1940, P. 37; Amari : Op. Cit. PP. 203-204; Mas Latr-
ie : Traite de Paït. PP. 88-92 .

٥٤ - نعيم زكي : طرق التجارة ص ٣٢٤ ، Amari : OP. Cit. PP. 203-204 .

٥٥ - المنهل الصافي ، ج ٢ ، ص ٢٩١ - ١٩٣ ، ج ٣ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

٥٦ - السلوك ، ج ٢ ، قسم ٣ ، ص ٦٧٥ - ٦٧٦ .

٥٧ - نزهة النفوس ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٣ .

٥٨ - مفاهمة الخلائ في حوادث الزمان ، ج ١ ، ص ١٢٠ - ١٨٢ . ص ٣٦١ - ٣٤١ .

٥٩ - الخالدي : المقصد الرفيع ، ورقة ١٠١ - ١٠٧ مخطوط ، القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١ ص ١١٠ - ١٢٩

٦٠ - القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٨ ، ص ١٢٣ ، عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ١٥٠ ، سعيد عاشور : مصر في عصر دولة المماليك البحرية ، ص ١٤٨ .

٦١ - الخالدي : نفس المصدر ، ورقة ١٠٦ ، القلقشندي ، نفسه ، ج ٦ ، ص ٢١٦ ، منى ابراهيم : نفس المرجع ص ٢٤٦ - ٥٠٠ .

٦٢ - القلقشندي : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٣٥ ، عمر كمال توفيق ، نفس المرجع ص ١٥٠ .

٦٣ - المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٣ - ١٣٥ ، ص ٤٤٧ .

٦٤ - عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ٢٤ - ٣٥ .

٦٥ - ابن عبد الظاهر : تشريف الايام والعصور ، ص ١٥٦ .

٦٦ - الظاهر مكي : نفس المرجع ، ص ٨٤ - ٨٦ .

٦٧ - توفيق اسكندر : نفس المرجع السابق ، ص ٨ - ١٤ .

٦٨ - ابن اياس : بدائع الزهور ، ج ٤ ، ص ١٦٤ ، أحمد دارج : المماليك والفرنج ، ص ١٤٠ .

٦٩ - المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢١ ، ١٢٠ ، أحمد دارج : نفس المرجع ، ص ١٤٠ - ١٤١ .

٧٠ - حسين مؤنس : « سفارة بدرو مارتير » أبحاث التدولة الدولية ، ج ١ ، ص ٤٦١ - ٤٦٢ ، أحمد دارج : نفسه ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٧١ - القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ١٤ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ١٩٦ - ٢٠٩

٧٢ - المصدر السابق نفسه ، ج ١٤ ، ص ٧٠ - ٧١ ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

٧٣ - عمر كمال توفيق : نفس المرجع ، ص ١٦٨ .

- ٧٤ - ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام ، ص ١٦٨ .
- ٧٥ - النويري : نهاية الإرب ، ج ٢٨ مخطوط ، ورقة ٤٨ .
- ٧٦ - محمد عبد الله عنان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ١٢٠٠ .
- ٧٧ - ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٢٩٦ - ٢٩٧ .
- ٧٨ - علي السيد علي : « الجاسوسية في عصر سلاطين المماليك » ، مجلة فكر للدراسات والأبحاث ، العدد العاشر ، ١٩٨٦ ، ص ١٢٦ - ١٤٦ .
- A visit to the Holy Places, PP. 40-44.**
- ٧٩ - أحمد دارج : نفس المرجع ، ص ٣٧ .
- Adler : OP. Cit. P. 170**
- 80 - A visit to the Holy Places. P. 44.**
- 81 - Adler : OP. Cit., PP. 160-170 .**
- ٨٢ - الطاهر مكي : معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر ، ص ٩٢ .
- Alarcon : OP. Cit. P. 37**
- ٨٣ - صبحي لبيب : « الفندق ظاهرة سياسية ... » مصر وعالم البحر المتوسط ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩٦ - ٢٩٥ .
- ٨٤ - ابن ابيك : الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر ، ص ٣٧٤ في حوادث سنة ٧٣٤هـ .
- ٨٥ - توفيق اسكندر : تاريخ مصر في محفوظات البندقية ، ص ١٢ - ١٤ .
- 86 - Adler : OP. Cit. PP. 160-161**
- ٨٧ - علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .
- ٨٨ - المرجع السابق نفسه ، ص ٢١٧ .
- ٨٩ - انباء القمر ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
- ٩٠ - صبحي لبيب : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
- ٩١ - علي السيد علي : « القاهرة في عيون الرحالة الأجانب في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، بحث مقدم لندوة التاريخ الاسلامي والوسيط ،
- Adler : Op. Cit. PP. 178- 220**
- ٩٢ - محمد محمد أمين : « علاقات دولة مالي وسنغاي بمصر في عهد سلاطين المماليك » مجلة الدراسات الافريقية ، العدد الرابع ، ١٩٧٥ ، ص ١٠١ .
- ٩٣ - صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٤١٩ .

